اغتراب اللغة العربية على مواقع التواصل الاجتماعي

شهرزاد بوسكاية وسعاد زدام

لغة حباها الله حرفا خالدا فتضوعت عبقا على الاكوان
وتلألأت بالضاد تشمخ عزة وتسيل شهدا في فم الأزمان

توالت النكسات والخيبات على الوطن العربي، ليمر بمرحلة حرجة وجارحة مست مختلف جوانبه ومجالاته بل امتدّ ذلك ليمسّ حتى مقوماته ورموزه.. بما في ذلك اللغة العربية لتجد نفسها غريبة بين أبنائها، فقد امتدت لها يد الهوان وأصبحت في نظرهم لغة عقيمة لا تساير العصر، بل وينعت من يتكلم بها أنه متخلف، بعد أن كانت مقدسة جليلة ذات عصور مضت.

إن لغتنا اليوم تواجه أخطار كثيرة ومتعددة تكاتفت واتحدت لتنخر كيانها، وتهدده في الصميم، المؤسف أن جيلنا الجديد كأنه قد اتفق مع تلك الأخطار فكان عاملا مساعدا على تمتينها وتغذيتها وتقويتها.

العربية تئن بين مخالب المواقع الإلكترونية:

اللغة كائن حي قد ينتعش ويتطور وقد يمرض فيصيبه الوهن فيتقهقر، وعربيتنا التي عاشت قرونا من الزمن وواكبت حضارة عظيمة أشرقت شمسها على الغرب، تعيش اليوم أسوأ ظرف لها، إذ نراها شاحبة الوجه ضعيفة القوام عاجزة على مواجهة تحديات العولمة، التي أتت في زي جذاب ومغرٍ ضعُف أمامها أبناؤنا وانبروا خلف سحرها فوقعوا في فخها، هذه العولمة التي تشبه الأفعى تتلوى على كل مقوماتنا دينا ولغة.. هوية وثقافة لتخنق كل ما هوجميل وأصيل فينا، وباتت لغتنا تعاني وتئن بعد أن نفثت العولمة سمومها فيها متخذة التكنولوجيا قناة تسرب منها تلك السموم.

فقد أدى تسارع التطور التكنولوجي في منتصف التسعينيات من القرن الماضي إلى حدوث قفزة عملاقة على كافة المستويات العلمية، وانطلاق ثورة حقيقية في عالم الاتصال حيث انتشرت شبكة الانترنيت في أرجاء العالم ليصبح قرية صغيرة انفتحت من خلال تلك الشبكات المجتمعات على بعضها البعض، وباتت من السهل التواصل وتبادل الأفكار والمعلومات والخبرات.

ومع ظهور المواقع الالكترونية أصبح للمحادثة أشكال أخرى أسهل وأمتع وأكثر جاذبية، فهذه المواقع ووسائل الاتصال تتيح لمستخدميها إنشاء مدونات الكترونية، وإجراء المحادثات المباشرة ومشاركة الصور ومقاطع الفيديو، وتيسر للمستخدمين نشر ملفات والكتابة حول موضوعات محددة تدخل ضمن دائرة اهتمام مشتركين آخرين وتمكنهم من التعليق على تلك الموضوعات.

وبعد أن أثبتت تلك المواقع أهميتها وفاعليتها وحجم تأثيرها على المتلقين بدأت الحكومات حول العالم بالتفكير في الاستفادة من وجود تلك المواقع، وما كان للوطن العربي أن يبقى بمنأى عما يحدث في العالم، إذ كان لزاما عليه مواكبة هذه التطورات التكنولوجية والاندماج فيها، دون أن يحسب حساب لمخاطرها ونتائجها، لكأنها استخدمت تخديرا وأفيونا شغلتهم وأغفلتهم عن مواضيع البلد والإنسانية وعن قضايا قوميّتهم ودينهم بل وجعلت الكثير منهم ينحرفون عن أخلاقهم ويهملون دراستهم ومستقبلهم، فقد التفت حبال تلك الشبكات وتسلقت مثل العليق على قلوب وعقول أبنائنا فاستحوذت على تفكيرهم، وأقبل الشباب العربي على استخدام هذه المواقع بإفراط، وأضحوا يتواصلون بينهم في أي ساعة شاؤوا ولكن مخاطر ذلك التواصل تعدت حياتهم الخاصة لتتسلل إلى لغتهم.. إلى قلب اللغة العربية ولبّها.. فأي لغة استحدثوا؟ وأي كتابة ابتدعوا؟ وأي سيف نزل على لغة الضاد؟ فعاث فيها فسادا وتشويها؟

لقد أثرت وسائل التواصل الإلكتروني على الكيان اللغوي للغة العربية، وقلبت موازينها وشوهت جمالها، إذ تفنن رواد هذه المواقع في خلق ألفاظ جديدة وكلمات غريبة وعجيبة للتواصل بينهم، واستبدلوا بعض الحروف بأرقام ورموز، ليس ذلك فحسب بل أصبحوا يكتبون العربية بحروف

أجنبية، وبالعامية أيضا، ما جعل الفجوة تزداد وتتفاقم وتتعمق أكثر وأفظع من ذي قبل بين الجيل الجديد ولغة الضاد.

ما جعل الخبراء والمختصون يدقون ناقوس الخطر وينذرون بما يتربص لغتنا من شؤم انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والمواقع الالكترونية وسوء استخدام لها، ويخشون من مصير مجهول للعربية في عصر الانفتاح الثقافي الرهيب(١) وخاصة في ظل سيطرة اللغات الأجنبية على وسائل الإعلام الآلي.

وأكدوا على أن العربية تمر بأسوأ حالاتها منذ قرون؛ حيث أنها تتشوه وتتقلص بدل أن تتطور وتتوسع وذلك بسبب طغيان اللهجة المحكية والمختزلة على مواقع التواصل، إضافة إلى تواصل الشباب على الواتساب بلغة لا يمكن فهمها، بل الأخطر من ذلك كتابة اللغة العربية بأحرف لاتينية مع إيجاد بدائل للحروف العربية التي لا مرادف لها في اللاتينية مثل العين والضاد. (٢)

بل وهناك دراسات تكشف عن الاندثار التدريجي للعربية في الوقت الذي يكبر فيه الشباب لغة مواقع التواصل الاجتماعي التي تساهم بشكل كبير في تراجع العربية لصالح لهجات لا هوية لها.

لقد قلبت وسائل الاتصال الحديثة والمواقع الالكترونية موازين استخدام اللغة العربية؛ بحيث انقسمت إلى لغات متعددة وتم ابتداع مصطلحات جديدة وكلمات دخيلة، هذا بالإضافة إلى أن مراسلات البريد الإلكتروني قد فرضت لغة هجينة غصت بالتعابير المستحدثة، وتم استبدال أحرف العربية برموز وصور وإشارات، فضعف بذلك الأداء اللغوي وشاعت الأخطاء وسيطرت اللهجات العامية. (٣)

وطبيعي أن تكون اللغة العربية في وضع سيء لأن العلاقة بينها وبين مواقع التواصل لا تسير وفق خطوط متوازية؛ فالطرفان لا يتبادلان التأثير نظرا لانعدام التكافؤ بينهما؛ لأن مواقع التواصل الاجتماعي هي الطرف الأقوى، وبالتالي هي الطرف المؤثر، في حين أن اللغة هي الطرف التابع لدرجة تضعف معها مميزاتها وخصائصها الفنية.(٤)

العربيزي "روح ملح" في وجه العربية:

تكثر الخطابات والنداءات بضرورة الحفاظ على اللغة العربية والذود عنها وحمايتها من كل تشوه وخطر، كل ١٨ من ديسمبر وهوالتاريخ الذي أقرته منظمة الأمم المتحدة يوما عالميا للغة العربية، لكنها نداءات وخطابات لا تعدوأن تكون حبرا على ورق وقرارات تظل حبيسة الأدراج.

فلا زال المسيطر والمهمين على لغة شبكات التواصل لغة غريبة اصطلح على تسميتها باللغة "العربيزية"، وهي لغة هجينة بين العربية والانجليزية أوالعربية والفرنسية؛ استحدثت كوسيلة للدردشة وذلك بتمييع أحرف العربية واستخدام أحرف لاتينية لكتابتها أوباستخدام الأرقام- كاستخدام الرقم ثلاثة بدل العين- بطريقة تشبه الشيفرة، ويضاف إليها الكثير من الاختصارات مما ينم عن سذاجة وسطحية مستخدميها؛ حيث يعتقدون أن ذلك يتماشى مع الحداثة واللطافة في الحديث مع الآخرين (برستيج إلكتروني)، ومثال ذلك تغيير حرف الطاء في كلمة "طيّب" إلى "تاء"، فتصبح (تيّب)، وكلمة ظريف إلى زريف لتبدوأكثر نعومة وأنوثة، إلى غير ذلك من الاستخدامات المنحرفة التي تدفن آخر معالم اللغة العربية التي باتت مشتتة على ألسنة أبنائها.

وقد ظُنّ في البداية أن اللغة العربيزية موجة عابرة وصيحة شبابية زائلة، لكن مع الأسف، انتشرت كانتشار النار في الهشيم وتسربت في أعماق يوميات شبابنا وسيطرت على أذهانهم، وأصبحت داء ينخر جسد العربية، وملح روح يشوه جمالها وسحرها.

وفيما يلي أمثلة عن هذه اللغة العربيزية:

فقد تحولت "كلمة الحمد لله" إلى(hml) وسلام إلى (Slm) واستحدثوا أسلوب مناداة بكلمة: coco

فيما تستخدم الأرقام للدلالة على بعض الحروف:

الرقم ٢ = ء فكلمة سؤال مثلا تكتب هكذا: so٢al الرقم ٣ =ع مثلا كلمة سعاد تكتب sou٣ad ، ويبدوأن أبناءنا أذكياء كفاية إذ قادهم ذكاؤهم إلى إيجاد حل لحرف الغين "غ" فكتبوه هكذا: ٣' الرقم ٥ = خ، أما الرقم ٦ = ط والرقم ٧= ح الرقم ٨ = ق الرقم ٩ = ص طبعا أبناؤنا لا تخفى عليهم الحلول فقد وجدوا حلا لحرف "ض" فوضعوا له رمز ٩' دلالة على النقطة.

هذا غيض من فيض، وما خفي كان أعظم، وفي حقيقة الأمر ما وضع اللغة العربية اليوم إلا حالة تراكمية؛ ولئن كانت تتمتع بجمال منقطع النظير، فإنها قد بدأت تفقد رونقها بالاستخدام الخاطئ

من قبل مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي، لأن هذه المواقع تفرض السرعة في أداء اللغة الأمر الذي أدى إلى استحداث مفردات غريبة وربما سوقية مما أدى إلى ضعف الأداء اللغوي لدى الشباب العربي بحيث ما عادوا يستخدمون اللغة الرصينة واستبدلوها بلغة ركيكة في مفرداتها وتعابيرها وهي لغة الفرانكوأراب أوالعربيزي والتي تعد تشويها صريحا للغة العربية. (٥)

ولئن كانت مواقع التواصل الاجتماعي تحافظ على الوظيفة التعبيرية للغة والوظيفة التأثيرية، فإنها تقضي على الوظيفة الجمالية لها. ومن هنا جاز لنا أن نقول أن لغة الضاد تعيش في أسوأ حالاتها بين وسائل الاعلام الاجتماعي.

حماية اللغة العربية مسؤولية من؟

إن محاولة البحث عن أسباب هذه اللغة الهجينة، يعود ربما انعدام لوحة مفاتيح باللغة العربية في الهواتف والأجهزة اللوحية، لكن ومع استحداث لوحة مفاتيح باللغة العربية إلى أن الأمر قد استفحل وأصبح من الصعوبة بمكان التراجع عن هذه اللغة التي استحدثوها فقد استلذ شبابنا هذه اللغة الهجينة. فعلى من تقع مسؤولية حماية اللغة العربية عندما تكون مهددة؟ أعلى الدولة، أم المجتمع؟، أم المدرسة؟ أم الأسرة أم الفرد؟

في الحقيقة هي مسؤولية جميع هؤلاء، ولكن هي مسؤولية الدولة بالدرجة الأولى؛ صحيح أن جميع الدول العربية ينص دستورها على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد " لكن هذه الدسترة ظلت تتأرجح بين تطبيق محتشم، وحذر شديد منه"(٦). وبالنظر إلى الواقع، فإن هناك تناقض واضح بين منطوق الدستور والواقع اليومي، وخاصة في ظل انتشار مواقع التواصل الاجتماعي. لذا فقد باتت مسؤولية الدولة بجميع مؤسساتها كبيرة لتحقيق الأمن اللغوي.

أما على صعيد المجتمع فلا بد من تجنيد الجمعيات الثقافية المختلفة التي يقودها في الغالب أناس مثقفون لتحسيس المواطنين وبالأخص الشباب بأهمية اللغة العربية وبضرورة استخدامها في الحياة، ولكن تحليلا بسيطا للوضعية اللغوية يفضي:" إلى أن الاهتمام باللغة العربية لا يشكل أولوية الأولويات في أجندة منظمات المجتمع المدني" (٧)

وما يقال عن المجتمع يقال عن الأسرة والفرد؛ فالأسرة مطالبة بتحسيس أبنائها بأهمية العربية وحملهم على تذوقها، ومتى ما تذوقوها فلن يجدوا لها بديلا في التواصل الاجتماعي؛ فسيستخدمونها ويبدعون فيها بدلا من أن يقوموا بتشويهها. والفرد مطالب بتقديس لغته والوعي بحجم ما يواجهها من تهديد.

خاتمة:

حملت العربية معجزة القرآن، ووفت بمتطلبات الحضارة في أزهى عصورها نقلا وابداعا. ولها من الخصائص ما يخول لها أن تستوعب مقتضيات التكنلوجيا الرقمية، فإذا علمنا أنها لغة اشتقاقية ندرك أنها لا تعجز عن استيعاب المعاني في صورها المختلفة.

يزخر العالم بآلاف اللغات، وكلّ لغة تحمل العالم في جوفها. واللغة وسيلتنا لإدراك العالم، وواسطتنا التي تحدد المسافة بيننا وبين واقعنا، وأداة تعاملنا مع هذا الواقع التي نحيل بها المحسوس إلى مجرد؛ إنها الجسر الواصل بين خصوصية الذات وعمومية الموضوع.

تشهد حضارة اليوم حركة نشطة في "لغونة" الكثير من جوانبها السياسية والمعرفية والأخلاقية، وجاءت تكنولوجيا المعلومات لتضع اللغة على قمة الهرم المعرفي، وهكذا أصبحت اللغة رابطة العقد للخريطة المعرفية، وبذلك أصبحت اللغة من أشد الأسلحة الإيديولوجية ضراوة وذلك بعد أن فرضت القوى السياسية وقوى المال سيطرتها على أجهزة الإعلام والاتصال.

وفي خضم الانتشار الشرس للعولمة استفحلت أزمة الهوية اللغوية حيث أن أبناء هذا العصر لم يعودوا يعيشون اللغة التي تنتمي إليها ثقافتهم إنما يعيشون اللغة المهيمنة على التواصل الدولي. إن تواصل الإنسان مع أخيه الإنسان عبر الوسيط الإلكتروني (مواقع التواصل الاجتماعي) وباستخدام لغة هي مزيج من عامية وأجنبية سيؤدي حتما إلى أزمة لغوية، وإلى تشظي المنظومة اللغوية، لذا بات من الضروري استخدام اللغة العربية كأداة لتبليغ الثقافة لتأمين مستقبل لغتنا ولتأهيلها لتتبوأ المكانة اللائقة بها بين اللغات الحية، ولن يتأتى ذلك إلا بتطوير اللغة العربية لتعبر عن الفكر العصري، والتعامل معها لا باعتبارها مقدسا لا ينبغي أن يمس، بل باعتبارها كائنا حيا قابلا للتطور.

ونحن في مسيس الحاجة إلى نظرة أشمل للغة العربية وعلاقتها بفروع

المعرفة الأخرى، ولا بد من التركيز على خاصة على الجوانب التي تميز العربية عن باقي اللغات، ولتحقيق ذلك لا بد من إعداد فريق من الباحثين من ذوي القدرة على عبور حواجز التخصصات النوعية. ولا بدّ لنا من أن نعي أن ثقافتنا العربية تواجه تحديات عديدة وأن عربيتنا مشوهة على مواقع التواصل الاجتماعي؛ فشبكات التواصل شبكات عالمية:

- فرضت نفسها وبقوة داخل المجتمعات العربية خلال العشر سنوات الأخيرة
- جمعت لأول مرة بين النص المكتوب والمقطع المرئي.
- حولت المستخدم من متلقي إلى منتج للمعلومات ومشارك.
- أدت إلى نشوء عربية مشوهة وهجينة.
- شوهت جمال العربية.
- قضت على الأمن اللغوي.

لذا بات لزاما أن:

- تحتوي المقررات الدراسية على محاور خاصة بهذه المواقع
- تجري كليات الإعلام والمراكز البحثية في الوطن العربي بحوث عن شبكات التواصل الاجتماعي
- تشجيع الشباب على ابتكار شبكات تواصل اجتماعي عربية تهدف في المقام الأول إلى التواصل باللغة العربية.
- يصدر قرار سياسي ينبع من السلطة لسن قوانين للتكلم بالفصحى.
- التمسك بالهوية اللغوية على غرار الشعوب الأخرى (الشعب الألماني مثلا)
- الاشتغال على مميزات العربية وخصائصها اللغوية لتواكب التطور الإعلامي .

إن الحاجة باتت الآن تدعووبإلحاح إلى إعادة النظر في واقع اللغة العربية، ولن يتأتى ذلك إلا بتظافر الجهود للنهوض بها ورد الاعتبار لها على مواقع التواصل الاجتماعي. ولا شك في أن ثقافة عصر المعلومات تتطلب إبداعا لغويا جديدا باعتماد مميزاتها؛ فاللغة العربية لغة اشتقاقية لا تضاهيها لغة أخرى في كثرة مشتقاتها، والنحوالعربي يتسم بالمرونة وثراء التراكيب، وفوق هذا وذاك لنا نص سماوي هومرجع لغوي شامل. وما أحوجنا اليوم إلى جرجاني يهدينا إلى " أسرار الركاكة" لا إلى "أسرار البلاغة".

والدول العربية ملزمة بتفعيل عربيتها وحمايتها مما لحقها من تشوهات على مواقع التواصل الاجتماعي، وأن تحد من التلقي السلبي لتهديدات مواقع التواصل الاجتماعي.

الهوامش:

١/ ينظر فيصل عبد الحسن: صحيفة العرب، ع ٩٨٦، ٢٤-٠٧-٢٠١٥، ص١٨.

٢/ المرجع نفسه، ص١٩.

٣/ عائشة يحي: "شبكات التواصل الاجتماعي ما لها وما عليها" (نسخة إلكترونية).

٤/ ينظر نبيل علي: "الثقافة العربية وعصر المعلومات"، عالم المعرفة، عدد يناير٢٠٠١، ص٢٠٠.

٥/ ينظر المرجع السابق.

٦/موسى الشامي وشميعة مصطفى: اللغة العربية وسؤال الهوية، مطبعة آنفو، المغرب، ص ٤٠.

٧/المرجع نفسه، ص ٤١.